منفصلا عن التطور في المعارف ذاتها، ولا يمكن بتاتا أن يطور علماء العرب لغتهم دون مساهمتهم المتواصلة في تنمية المعرفة، إن المصطلح ليس إلا تعبيرا عن حركة الفكر، ولن يكون المصطلح العلمي عربيا إلا بعقلية علمية عربية، فاللغة أداة للتعبير عن خلجات الفكر، وليس المصطلح هو أداة الفكر.

ومن الواضح أن العرب عندما عاشوا حياة الصحراء، كانت لغتهم عن دقائق أوصاف الجمل وسمات الفرس لا تؤديها معاجم سكان البلاد الأخرى، فلم تكن ألفاظهم مجرد كلمات بقدر ما كانت معبرة عن مضامين وأشكال بنيوية دقيقة حية. وعندما اتصلوا بالحضارة الاغريقية ونقلوا العلوم الدقيقة منها، لم يكتفوا بنقل الألفاظ والكلمات، بل نقلوا أيضا المعرفة وساهموا في تطويرها، فجاءت الاصطلاحات بتعابير ذات بنية عربية سليمة. لقد كتب الفيلسوف النظام عن الذرة فلم تستعص عن الاغريق فيوضح آراءهم ويضيف إليها من آراءه بلغته وتعابيره، لم يكن الشيخ الرئيس مجرد مترجم ناقل. ولو قارنا أعماله بأعمال معاصره (جلبير) في روما، لوجدنا في أعمال العالِم الغربي صعوبة في النقل والترجمة لم تسجل عند العالم الاسلامي، لأن أوروبا لم تكن عندئذ تسهم في صوغ المعرفة بقدر ما كانت أداة نقل مجرد، حيث لم تكن تجد في لغتها ما يسعفها للنجاح في النقل.

إن عملية وضع المصطلحات شبيهة بعملية استنبات الحبوب في الأرض الزراعية، فهي تحتاج إلى مجال صالح وتفتقر إلى هضم ذاتها، ولو أن علماء العرب المعاصرين قاموا في عصر الكون هذا بكشوفات علمية، لكانت هاته تحمل أسماء عربية، كما حملتها المصطلحات الفلكية التي كانت وليدة جهود الفكر العربي في الماضي، ونحن اليوم نقرأ في خارطة الفلك المعاصر أسماء عربية لأنها وليدة الفكر العربي الذي كان متمكنا من معطياتها.

ومع ذلك، لا يجوز أن تُغمط جهود علماء العرب المحدثين في ميدان المصطلح العلمي. فقد تأسست في عصرنا مجامع لغوية ومعاهد علمية نجح الباحثون فيها في وضع معاجم علمية عصرية، وبرز داخلها علماء بذلوا في هذا الحقل جهودا شخصية، وكان لهم الفضل في صوغ تلكم المعاجم العلمية الحديثة، غير أن عدم التنسيق وتكرار العمل، ووقوع الحافر على الحافر كل ذلكم لم يكن في مستوى التطور السريع للمعرفة في هذا العصر، لذا انطبعت بعض الأعمال بالتكرار. وكانت النتيجة تحنيطها بين دفات الكتب والمعاجم لفقدها الحياة والحركة في خضم المعركة التي تعيشها العلوم التي تجتاز مسيرة التطور السريع والتقدم المتلاحق والابداع الحاسم.

وبالاضافة إلى تشتت جهود علماء العرب بما واجهوه من صراعات سياسية انعكست على الأعمال الثقافية والعلمية، هناك العوامل الجغرافية والاقتصادية المتمثلة في إحكام السيطرة الأجنبية على البلاد النامية التي أصبحت بحكم تبعيتها السياسية والاقتصادية تابعة للغالب، شاعرة بالنقص اللغوي والعلمي، وإن المثاقفة لواحد من أسباب ما يعانيه التطور اللغوي من ارتباك في عالمنا المعاصر.

إن التعريب قضية حضارة قبل أن يكون قضية لغة، وما اللغة إلا بلورة للهوية الفكرية لكل أمة، لذا يلزم تنقيح خطة العمل بما يجعل من مراكز التعليم العالي ميادين للبحث العلمي الحق، لتسير المعرفة بجانب اللغة ذاتها، فالمعرفة تخلق المصطلح. ومن الحق أن نعترف أن الجامعات في بلادنا لم تجد بعد طريقها لتكون أداة تطوير للمعرفة في مستوى المرحلة التي نعيش فيها، لأنها ما تزال تهتم بالانتاج الكمي مغفلة التفوق الكيفي، وعندما تصبح في مستوى التطور العلمي المعاصر يصبح العلماء الذين يصنعون المعرفة مؤهلين بيسر لتصدر من أفواههم وتسيل عبر أقلامهم الكلمات والمصطلحات والتعابير المعبرة عن

خلجات الأفكار في بنية اللغة التي ينتمون إلى فصيلتها.

إن التربية ترتبط هي الأخرى بالتعريب، ولا يمكن أن نربي جيلا جديدا إلا على أساس لغتنا، لذا فالتعريب ضروري في نهضتنا التربوية والعلمية. وإنه ليس عيبا أن نقتبس، لكن ليكن ذلكم بشروط تضمن سلامة التركيب البنيوي حتى لا نفسد اللغة ونفسد بفسادها الذوق والفكر.

ولذلك كله فإني أتقدم إلى جمعكم الكريم برجاء إعادة الاعتبار لمكتب تنسيق التعريب برفعه من مستوى مجرد مكتب للتعريب، وجعله كما يدل عليه اسمه أداة جمع لجهود التعريب المنسقة على صعيد العالم العربي، مما يصبح معه سلطة عليا تتمثل فيها جميع المجامع اللغوية والمؤسسات العربية العاملة في حقل التعريب.

أعرب مرة أخرى عن تمنيات النجاح لأشغال هذا المؤتمر، وللمشاركين فيه بالتوفيق في البحث والاستنتاج الصائب حتى تكون نتائج أعمالكم في مستوى طموحات العالم العربي وتطلعاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

منهجية التنسيق كخطوة أساسية في منهجية التعريب(*)

I ــ أبعاد الموضوع

إن موضوع منهجية التعريب وحدود الالتزام بها في تعريب العلوم موضوع واسع وعريض و ذو أبعاد متعددة لذا فإننا لا ندعي أن هذه الورقة ستحيط بالموضوع من كل جوانبه بل ستتطرق بالأساس إلى طرح إشكالية تتعلق برسالة المكتب، ألا وهي إشكالية منهجية تنسيق التعريب ومفهوم هذا التنسيق.

إلا أنه يمكننا منذ البداية تعريف بعدين أساسيين لهذا الموضوع، يتعلق الأول بمنهجية إعداد وسائل التعريب، والثاني باستخدام هذه الوسائل وتطبيق مخطط التعريب.

ومما لا شك فيه فإن طبيعة البعد الأول تقنية محضة، بينما يكتسي البعد الثاني صفة التصور والمنظور والقرار، كما أننا لا ندعي أن هذا العرض بحث أكاديمي بل هو عرض لتجربة عاشها المكتب زهاء ربع قرن بما لها وما عليها، وكل أملنا أن تسمح منا مناسبة عقد هذا المؤتمر لنقف وقفة تأمل، وقفة تقييم وتقويم.

وإذا كانت رسالة المكتب بالأساس هي تنسيق إعداد وسائل التعريب في الوطن العربي، فما هي هذه الوسائل يا ترى ؟ إنها بالدرجة الأولى المصطلح الموحد، إنها الكتاب المدرسي والجامعي، ترجمة وتأليفا، هذا على الأقل في مجال التعليم حيث أن هناك مجالات أخرى متعددة أغلبها ذو طابع تقني كوسائل الطباعة والاتصال والمعالجة الاعلامية.

وليس سرا أن المكتب قد جند كل جهوده في الفترة الأولى للعمل المعجمي والمصطلحي، تحت إلحاح الحاجة في بعض الأقطار العربية.

وحتى نحدد مفهوم التنسيق قبل الحديث عن منهجية المكتب في هذا التنسيق، لابد لنا من وقفة قصيرة نستعرض فيها بعض المراحل التي يمكن أن يمر منها تطبيق التعريب لما لها من علاقة بين مسايرة عمل المكتب لتعاقب هذه المراحل.

لقد اختط المكتب خططا عشارية لعمله المعجمي تساير تعريب التعليم العام (الابتدائي والثانوي) ثم التعليم المهني والجامعي المتوسط ثم التعليم

(*) مداخلة مكتب تنسيق التعريب.

العالي، وهذا يقتضي أن مرحلية تطبيق التعريب مرحليةٌ رأسية من أسفل إلى أعلى، أي أن التعريب يبدأ طريقهُ من المدرسة الابتدائية والثانوية ليصل إلى الجامعة والمعاهد العليا. بينما هناك من يرى أن التعريب يجب أن يبدأ من أعلى أي من الجامعة التي تسمح بتكوين الأطر التي بدونها لا يمكن تعريب المراحل الأدنى.

وهناك مدرسة أخرى ترى أن التعريب يجب أن يكون أفقيا، وفي كل المستويات. بمعنى أن يمس التعريب التدريجي كل المستويات في آن واحد حسب ما تسمح به الوسائل البشرية والتقنية المتوفرة، وإذا أضفنا إلى هذا تعدد المدارس التي تُعرَّب العلوم منها وأخص بالذكر هنا المدرسة الفرنسية في غرب الوطن العربي والانجلوساكسونية في شرقه، تتضح لنا صعوبة الاتفاق على مفهوم واضح وقار لهذا التنسيق، وبالتالي صعوبة المهمة الملقاة على كاهل مكتب تنسيق التعريب.

II — مفهوم تنسيق التعريب

هناك المفهوم النظري، الذي يمكن استنتاجه من النصوص واللوائح المنظمة للمكتب، كجهاز تابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهناك المفهوم العلمي النابع من الممارسة اليومية والتعامل المستمر مع الأجهزة المتخصصة قطرية كانت أم قومية.

فبالرجوع إلى النصوص المنظمة للمكتب نجد أن من بين مهامه «تلقي ما تنتهي إليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتّاب والأدباء والعلماء والمترجمين، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنته، لاستخراج ما يتصل منه بأغراض التعريب، وعرضه على مؤتمرات التعريب».

وكما جاء في المادة الرابعة لنظامنا الداخلي ما نصه :

«يقوم المكتب بتنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه وموادّه وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الاعلام المختلفة، وتنسيق الجهود التي تبذل لاغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمي والحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة والاعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب».

أما مفهوم التنسيق الذي يمكن استخلاصه في الممارسة والواقع فإنه يأخذ أبعادا ثلاثة :

1) تنسيق إعداد وسائل التعريب في تناسق مع مختلف مراحل التعريب : وهذا يعني أن تكون الوسائل التي ينسق المكتب لاعدادها مسايرة لمراحل ومخططات التعريب في مختلف أقطار الوطن العربي، حيث أن وسائل التعليم العام والثانوي تختلف عن وسائل التعليم المهني والمتوسط، كما تختلف عن وسائل التعليم العالي والجامعي، ناهيك عن ماله علاقة بالبحث العلمي. ومن هنا جاءت فكرة المخططات العشارية الثلاث لتغطية كل مرحلة من هذه المراحل.

2) التنسيق بين الجهود المبذولة في مختلف الأقطار العربية، ذلك أن إشكالية التعريب تطرح بدرجات متفاوتة في كل قطر من الأقطار العربية، حيث يختلف الأمر من حالة التعريب الشامل في جميع مراحل التعليم وفي كل حقول المعرفة، إلى حالة التعريب الجزئي الذي يختلف هو الآخر كما وكيفا، وقد دعت هذه الحالات أن يكون لكل قطر عربي مؤسساته وهيآته التي تعنى بمشكل التعريب مما أدى إلى خلق روافد قطرية يجب التنسيق بينها لكي تصب كلها في قناة التوحيد.

3) التنسيق بين مختلف مصادر المعرفة : فمما لا شك فيه أننا حينما نتكلم عن تنسيق التعريب فإننا نعني نقل العلم من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، أي

من الانجليزية أو الفرنسية (على الأقل) إلى اللغة العربية مما يؤدي في هذه الحالة إلى إشكالية جديدة تتعلق بالعمل المعجمي، فحينما نكون بصدد إعداد معجم ثلاثي اللغة (انجليزي فرنسي عربي) عادة يميل الباحث إلى إحدى اللغتين، الأمر الذي يؤدي به إلى اقتراح مقابل عربي يكون أكثر تجاوبا مع إحدى اللغتين على حساب اللغة الأخرى وهنا يظهر البعد الثالث في التنسيق بين مدرستين مختلفتين من الباحثين العرب، المدرسة الأنجلوساكسونية والمدرسة الفرنسية.

III ــ منهجية المكتب في التنسيق :

أمام هذه الأبعاد الثلاثة لمفهوم التنسيق ــ الأمر الذي لا يعني أن ليس هناك أبعاد أخرى لكن بأهمية أقل ــ وجد المكتب نفسه يسلك مراحل مختلفة دون أن نقول تجاوزا منهجية، تسمح له بتأمين هذا التنسيق وفق أبعاده المختلفة وأمام ضغط الواقع اليومي وإلحاح الأقطار التي يختلف احتياجها لوسائل التعريب اضطر المكتب إلى أن يولي أكبر اهتمامه إلى العمل المعجمي مع أن هذا لا يشكل إلاّ جزءا من مهامه، وهنا نطرح إشكالية اختيار المجالات وترتيب الأولويات حتى تكون الاختيارات متجاوبة مع طلبات بعض الأقطار العربية، أو بعض المنظمات والهيآت العلمية أو باقتراح من لجنته الاستشارية، وهكذا تعتمد بعض المجالات التي ينسق المكتب مشروعات معاجمها، وبما أن الغاية هي إيجاد المقابلات العربية للرصيد اللغوي الأجنبي الذي يغطي مجال المعجم، فإن المرحلة الأولى من التنسيق تقتضي إيجاد هذا الرصيد باللغتين الأجنبيتين أو بإحداهما على الأقل قبل التفكير في إيجاد المقابلات العربية. فكيف تجمع المادة الأولى لمشروع المعجم ؟ هنا نلجأ إلى الكتب التعليمية الأجنبية التي توافق مرحلة التعريب التي نحن بصددها، قصد الاستفادة من مسارحها التي توثق في آخر كل كتاب الرصيد اللغوي المختص الذي استعمل في التأليف أو نتوجه إلى بعض الهيآت العلمية المختصة في مجال المعجم لتزودنا بهذا الرصيد، أو غالبا ما نسلك أسهل السبل، أي التوجه مباشرة إلى إحدى المعاجم الأجنبية ثنائية اللغة (انجليزي فرنسي) لاعتماد مادته كمادة أولى.

وانطلاقا من هذا الرصيد يتم الاتفاق مع أحد المتخصصين العرب، الذي نلمس فيه الكفاءة العلمية واللغوية كي يحضر مسودة مشروع المعجم ثلاثي اللغة، مستفيدا مما صدر عن المجامع العربية أو الهيآت والمجامع المختصة من معاجم ومؤلفات، وغالبا ما يعتمد على قدرته الذاتية ومعلوماته الخاصة.

بعد ذلك يعهد بهذه المسودة إلى خبير آخر قصد مراجعتها وتدقيقها لكي تكتسي الوثيقة صفة مشروع معجم.

وأثناء المرحلتين السابقتين يراسل المكتب الهيآت والمؤسسات العلمية في الوطن العربي بواسطة استمارة، راجيا منها تزويده بأسماء الخبراء العرب الذين يمكنهم أن يمدوا يد المساعدة في هذا الانجاز. ورغم قلة الأجوبة التي تصلنا في هذا الصدد فقد استطاع المكتب أن يكوّن مرجعا بأسماء التخصصيين العرب في كل مجال من مجالات مشروعات معاجمه.

بعد هذا تأتي مرحلة الاستشارة حيث يوزع مشروع المعجم على كل الهيآت المختصة من مجامع وجامعات ومعاهد وكذا على التخصصيين العرب الذين تتوفر فيهم الشروط الموضوعية علميا ولغويا حسب المعلومات التي نتوفر عليها من خلال الاستمارات المذكورة سابقا.

وهكذا يطلب من كل مراجع إبداء رأيه في المقابل العربي المقترح أو اقتراح بديل عنه إذا لم يعتبره صالحا. كما يطلب منه إضافة المصطلحات المنتمية إلى مجال مشروع المعجم التي يعتبرها ناقصة أو حذف ما يعتبره حشوا.

وبعد تلقي المكتب لمشروع المعجم منقحا كما سبق من مختلف المراجعين عبر كل الأقطار العربية، يوثق كل هذه الملاحظات ويدعو لعقد ندوة كي تبث فيها، وتنقح مشروع المعجم على ضوءها، قصد عرضه على مؤتمر التعريب بغية إقراره وتوحيده.

هذا ويعمل المكتب جاهدا كي يشارك في هذه الندوات خبراء عرب من مختلف الأقطار كي نؤمن توازنا جغرافيا، وأن تتوفر فيهم المعايير العلمية واللغوية على أساس أن يكونوا من بين من راجعوا المشروع وأبدوا ملاحظات عليه.

وفي مرحلة ما بعد الندوة يقوم المكتب بإعادة صياغة مشروع المعجم واستنساخه من جديد، آخذا بعين الاعتبار ما استقر عليه رأي المنتدين، وبعد ذلك يرسل مشروع المعجم إلى وزارات التربية العربية قصد تشكيل لجان علمية لدراسته من جديد، وانتداب من يمثلها في مؤتمر التعريب الذي يبحث في مشروع المعجم.

IV ــ حصيلة المكتب خلال ربع قرن

ودون رغبة في التكرار فقد استطاع المكتب وفق هذه المنهجية بما لها وما عليها إعداد رصيد مصطلحي ثلاثي اللغة بلغ الآن حوالي نصف مليون مصطلح مختص في ست وثلاثين مجالا، وأن أملنا أن يُسكب كل هذا الرصيد في معجم علمي عام موحد يجد فيه الباحث والدارس المقابل العربي للمصطلح الأجنبي في مختلف الحقول، ولنصل إلى هذا فإننا نمر الآن من مرحلة وسطية ترمي إلى دمج المعاجم المنتمية إلى مجالات متقاربة في معجم واحد مع إعادة فهرسته في اللغات الثلاث.

V ــ مؤتمر التعريب السادس مناسبة لوقفة تأمل وتقييم

أمام هذا العرض المتواضع، المنطلق من الواقع المعاش، ورغبة في تطوير تصور مفهوم التنسيق، كي نواجه ما ينتظرنا بموضوعية وعقلانية فإننا نرى في مؤتمر التعريب السادس مناسبة مواتية لكي نقف وقفة تأمل وتقييم تسمح لنا بوضع أصبعنا على سلبيات هذه المنهجية كي نتجنبها، وعلى إيجابياتها كي نحسنها، هدفنا من كل هذا خدمة اللغة العربية والوطن العربي.

ومن خلال الممارسة والتطبيق يتضح أن هذه الطريقة في العمل تنطوي على بعض السلبيات منها :

ــ اختيار مجالات العمل يخضع إلى عوامل ظرفية بدل أن يتجاوب مع مخطط يرمي إلى تغطية كل مجالات المعرفة حسب تصنيفها الدولي ويلبي الاحتياجات الظرفية في آن واحد.

ــ الاقتصار على خبير واحد لتحضير مسودة المشروع وعلى مراجع واحد لمراجعته مما يؤدي إلى عدم الاحاطة بكل جوانب الموضوع لغة ومضمونا.

ــ عدم كفاية المدة المخصصة لندوات تنقيح المعاجم مما يدعو في بعض الأحيان إلى متابعة المراجعة بفريق عمل محلي.

ــ ضرورة وضع مقابلين عربيين لمصطلح أجنبي واحد في حالة عدم التوصل إلى مقابل عربي واحد يتجاوب مع المصطلحين الانجليزي والفرنسي.

ــ وجود الأخطاء الناتجة من العمل اليدوي والتي لا يمكن تفاديها كليا.

ــ عدم توفر انتاجات المكتب في متناول المستعمل عبر كل الأقطار العربية.

إلا أنه من الانصاف أن نسجل لهذه المنهجية رغم ما عليها أنها :

سمحت بإيجاد هذا الرصيد المصطلحي الذي نحن في أشد الحاجة إليه للسير بعملية التعريب قدما إلى الأمام.

. تسمح بسرعة الانجاز لسهولة التعامل مع فرد معين، مع تحديد المسؤوليات، بدل التعامل مع هيآت قلما تجيب.

. تسمح بتوسيع عملية الاستشارة على أوسع نطاق ويشرك في هذه العملية كل من هم قادرون وراغبون في الاشتراك فيها.

VI ــ إشكالية الالتزام

ورغم كل هذا، وسواء اقتنعنا بهذه المنهجية بما لها وما عليها أم لم نقتنع، يبقى السؤال المطروح وما الفائدة من كل هذا إذا لم يلتزم به من أعدوه و لم يستعمله من وحدوه ؟

هل العيب في الوثيقة نفسها وفي طريقة إعدادها، أم العيب في مبدأ الالتزام نفسه ؟ وما هو سبيلنا إلى الالتزام بما بذلنا في إعداده طاقات مادية وفكرية لا يستهان بها ؟

أعتقد بأن الالتزام يجب أن يبدأ في الأساس من الكتاب المدرسي وقبل المدرسي، وأن نقوم بحصر الرصيد اللغوي الوظيفي على صعيد الوطن العربي إسوة بالتجربة التي أنجزت في مغرب الوطن العربي، وأن نتقيد بهذا الرصيد في مؤلفاتنا وكتبنا المدرسية على الأقل في المرحلة الابتدائية والثانوية، على أساس أن تعم التجربة كل مراحل التعليم فإذا كان المؤلف يحتوي بين دفتيه مضمونا قد يتلون حسب الفلسفة والمنظور فإننا نعتقد أن المصطلح لالون له وأنه لا يمكن أن يحتوي على مركبة غير المركبة اللغوية.

VII ــ نحو منهجية مستقبلية في التنسيق

والآن ونحن مقبلون على فترة جديدة في عمل مكتب تنسيق التعريب وبعد هذه الوقفة المتأنية من التأمل، هل لنا أن نطمح في أن نفكر جميعا، وبصوت عال، في منهجية مستقبلية للتنسيق ترمي إلى تغطية كل مجالات المعرفة بدل الاختيارات الظرفية، تعطي الأولوية للمجالات التكنولوجية المتقدمة، تسمح بالتعامل مع هيآت بدل التعامل مع أفراد، وتهدف إلى التنسيق بين مختلف بنوك المعطيات، التي أصبحت تنتشر في مختلف أقطار الوطن العربي، علما بأن العمل القطري والعمل القومي غير متناقضين بل يكمل أحدهما الآخر.

وقد زكّى المجلس التنفيذي لمنظمتكم العربية هذا الاتجاه حينما أصدر قرارا بشأن تطوير وتحديث أساليب العمل بمكتب تنسيق التعريب، يعتمد بالأساس على تنسيق جهود مجامع اللغة العربية والجامعات والمؤسسات والهيآت العلمية في الوطن العربي. وكل أملنا أن نسطر في هذا اللقاء الخطوط العريضة لهذا التنسيق.

نرجو الله تعالى أن يوفقنا لما فيه صالح اللغة العربية والوطن العربي والله من وراق القصد.

مشروع الذخيرة اللغوية العربية(*)

يهدف هذا المشروع إلى إنجاز بنك من المعلومات اللغوية على غرار ما أنجز من بنوك المعلومات الاقتصادية والادارية والسياسية وغيرها وما أنجز من ذلك في ميدان اللغة والمصطلحات العلمية والتقنية، باللغات الأجنبية.

وهذا يقتضي أن تدوّن بكيفية منتظمة كل ما ورد في النصوص القديمة والحديثة ذات الأهمية الكبيرة كأمهات الكتب في الأدب والعلوم المختلفة وكل ما استعمل بالفعل بمعنى من المعاني وأن يستعان على ذلك بالأجهزة الالكترونية الحديثة المهيأة لهذا النوع من التدوين وأن توزع الأعمال على أسر من الباحثين والخبراء في مستوى العالم العربي.

إن هذا العمل الضخم الطويل النفس لابد أن يبنى كما قلنا على مجموعة واسعة جدا من المعطيات أي على مسح كامل :

— لما يجري الآن استعماله بالفعل في الوطن العربي بأكمله،

— ولما كان مستعملا قديما وورد في النصوص الأدبية والعلمية والتقنية. وهذا يقتضي :

. الرجوع إلى التراث الأدبي والعلمي العربي ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم القديمة.

. أن يعتمد على الأجهزة الالكترونية (الحواسب) نظرا لضخامة المعطيات.

وستسدّ هذه الذخيرة فراغا كبيرا إذ كانت البحوث اللغوية (وما إليها من الدراسات التاريخية اللغوية والإجتماعية وغيرها) أكثرها فردية وجزئية ويدوية ولم تصر بعد إلى ما يجب أن تصير إليه من تنظيم الأسر من الباحثين وتوزيع المهام عليها بحيث يقوم هؤلاء بإجراء التحريات في الميدان لتجميع المعطيات (المستعملة بالفعل في جميع البلدان العربية) ويقوم أولئك بجرد كامل للأمالي والكتب والمنشورات العلمية وأسرة أخرى تكلف بتفريغ كل ذلك في جذاذات وهكذا. فهذا العمل الجماعي

(*) الورقة التي تقدم بها وفد الجزائر لمؤتمر التعريب السادس

الشامل هو الذي يضمن الموضوعية المطلوبة لأن **المسح المستفيض** لجميع المعطيات **بدون استثناء شيء منها** هو شرط أساسي للعلم كما هو معلوم. ثم إن المعلومات المجمّعة لابد أن ترتب الترتيبات المختلفة لتكون سهلة المنال والاستحضار ولابد أن لا يكتفى فيها بذكر المصطلح بل يحتاج الباحث أن يعرف أين يستعمل هذا اللفظ بالفعل وبأي معنى وفي أي مراجع قد ورد وكم مرة ؟ أي ماهي درجة تواتره أو انتشاره ؟ وغيرها من المعلومات المفيدة التي ستكون كالمقياس لاختيار الألفاظ وتوحيدها. وهذا العمل الجبار لن يتم إلا باستعمال الآلات الالكترونية العظيمة القوة. وقد طرحنا في عدة مناسبات هذا السؤال : كيف يمكن أن يضع الواضع منا للمسمى المحدث لفظا عربيا مناسبا يحظى بجميع الصفات التي ستجعله يذيع ذيوعا واسعا إن لم يكن لديه وتحت تصرفه مجمّعة ومرتّبة كل الألفاظ الفصيحة (قديمة أو مولدة) التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص بهذا المسمى ؟ فهذه المعطيات المجمّعة المرتبة هي التي سمّيناها بالذخيرة اللغوية العربية[1].

ـ أوصاف الذخيرة وفوائدها وكيفية إنجازها

إن الذخيرة اللغوية هي عبارة عن **قاموس جامع للألفاظ العربية**. ويفارق هذا القاموس غيره من القواميس (الحديثة بالخصوص) في هذه الصفات الأساسية :

1 ـ سيكون له ثلاثة أشكال :

. شكل تسجيل في ذاكرة الرتّاب (الحاسب)

. شكل جذاذية عادية من جهة ومصغرة (ميكروفيشات تحتوي كل واحدة على 60 صفحة) من جهة أخرى

. شكل كتاب عادي (موسوعة لغوية)

2 ـ يحصر جميع الألفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة والحديثة والآثار الأدبية والعلمية والتقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر مع الاشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصيح المسموع عن الفصحاء السليقيين[2] أو المولّد الذي جاء على قياس كلام العرب.

3 ـ يذكر كل السياقات (**الحقيقية**) التي ورد فيها اللفظ ولا يخترع الأمثلة كما تفعله القواميس الحديثة بل يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب والآثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع ذكر المرجع بدقة ولا يكتفى بالسياق الواحد.

4 ـ ترتب فيه الأوضاع اللغوية (في ذاكرة الرتّاب) شتى الترتيبات :

. ترتيب أبجدي عام (الانطلاق من الألفاظ)

. ترتيب أبجدي بحسب مجالات المفاهيم (الانطلاق من المعاني)

. ترتيب بحسب درجة تواتر الكلمة (عدد المرات التي ظهرت في النصوص)[3]

. ترتيب بحسب درجة شيوع الكلمة أي ذيوعها في البلدان العربية أي بحسب اتساع رقعة استعمالها[3]

---

(1) بالانكليزية : The Theasaurus (or Treasure) of the Arabic Language

هذه ورقة عمل أدرجنا فيها جزءاً من البحث الذي قدمناه لمؤتمر التعريب الخامس الذي انعقد في عمان في أكتوبر 1985.

(2) الذين أخذ منهم اللغويون العرب الأولون.

(3) أما ما سيطبع وينشر فستدمج فيه هذه المعلومات (التواتر والشيوع) ويكون الترتيب أبجديا عاما في طبعة ومفهوميا في طبعة أخرى.

. ترتيب بحسب العلوم والفنون.

هذا وتنقسم الذخيرة إلى قسمين :

. بنك المعلومات اللغوية (وفيه يندمج بنك المصطلحات)

. المعجم المحرّر

أما الأول فهو عبارة عن رصيد لغوي ضخم جدا جمعت ورتبت فيه المادة الخام (الألفاظ مع سياقاتها) التي دوّنها وجردها الباحثون مع ذكر كل المعلومات الاضافية الضرورية (التواتر والشيوع والمرجع أو مصدر الأخذ).

والثاني هو عبارة عن موسوعة يحرر فيها لعلماء بحوثا حول كل لفظة. فكل باب أو مدخل من هذا المعجم يحتوي على مايلي :

1 ــ **تحليل دلالي للفظة انطلاقا من السياقات** وحدها ثم تحديدات علماء اللغة القدامى إن وجدت وذلك ب :

ــ **التوضيح الدقيق :**

. للمعنى الوضعي للمادة الأصلية (الجذر)

. للمعنى الوضعي والمعاني الفرعية لكل كلمة اشتقت من تلك المادة (بالتمييز بين المعاني الفنية وغير الفنية)

. **ذكر المقابل الانكليزي والفرنسي لكل كلمة إن وجد** أو ما يقرب منه مع بيان الفوارق التصوّرية .

2 ــ **تعليق نحوي صرفي وجيز** (وصوتي وهجائي إن اقتضى الحال) بالاعتماد على ما ذكره علماء اللغة والنحو قديما (مع ذكر المراجع) .

3 ــ **تعليق تاريخي للمادة وفروعها** (انطلاقا من تحليل النصوص أو المقارنة بينها) :

. بيان أصل الكلمة إن كانت من الدخيل وتفسير تكييفها

. ذكر تاريخ أول ظهور الكلمة في النصوص التي لدينا (الأصيلة والدخيلة)

. ذكر تاريخ أول تحوّل دلالي للكلمة (والسياقات التي ظهرت فيها المعاني المستحدثة)

. ذكر تاريخ آخر ظهور لها إن اختفت في الاستعمال.

. وصف إجمالي تفسيري للتطور اللفظي والدلالي للكلمة

. بيان نظائر الكلمة في اللغات السامية (مع ذكر المواد الأصلية) .

4 ــ **ذكر درجة تواتر الكلمة** حسب العصور والبلدان وبالنسبة للآثار العلمية والأدبية إن اقتضى الحال.

5 ــ **بيان شيوع الكلمة** الجغرافي (حسب العصور أيضا) .

6 ــ **ذكر المرادفات والأضداد** للكلمة إن وجدت وكذلك الألفاظ التي **تجانسها في المفهوم.**

7 ــ **ذكر الدراسات التي خصصها** العلماء لهذه الكلمة أو تلك المادة.

أما فوائد هذه الذخيرة فهي كثيرة جدا ومتنوعة. فبالنسبة لوضع المصطلحات فإن الواضع إذا أراد أن يعرف هل يوجد في العربية أو في الاستعمال الراهن لفظ أو أكثر من لفظ يدل على مفهوم خاص فلا يمكنه في الوقت الراهن أن يجد مرجعا موثوقا يستجيب لطلبه بأن يجمع له كل الألفاظ التي تنتمي إلى المجال المفهومي الخاص الذي يهمه اللهم إلا بعض المعاجم المحدودة المجال. وأما

القواميس المزدوجة اللغة الحالية فقد وضعت للاستعمال لا للوضع ثم حتى لو فرضنا أن المستعمل قد يكون واضعا في نفس الوقت إذا قصد ترجمة الألفاظ الأجنبية فإن هذه المعاجم هي الآن ضئيلة المادة ولا يمكن أن تستجيب لطلبات المترجمين الهائلة فضلا عن التخليط والاغلاط الفاحشة(4) التي يتصف بها أكثرها. أما القواميس الوحيدة اللغة (القديمة خصوصا) فاللغوي كما هو معروف يبحث السنين الطوال أحيانا حتى يقع بالصدفة على بغيته وهذا عمل اعتباطي غير علمي لأن العلم هو على حد تعبير علمائنا حس ونظر أي استقراء وتصفح كامل ثم صياغة عقلية. فأما إذا كان لدى الواضع ما يسمى ببنك المعلومات اللغوية كما سبق أن وصفناه فإنه يمكنه — أينما كان في الوطن العربي — أن يلقي أسئلة على الرتّاب بواسطة الآلات المهيأة لذلك(5) كأن يريد أن يعرف المجال الدلالي الخاص بأمراض الخيل أو الضأن أو المجال الخاص بالمرتفعات والتضاريس أو المجال الخاص بأدوات الحفر والتنقيب وهكذا، فإنه يكفيه أن يحرّر سؤاله على ملمس الطرف فتظهر بعد ثوان على الشاشة جميع الألفاظ العربية التي تدخل في هذه المجالات الدلالية القديمة والمولّدة بما في ذلك المصطلحات الحديثة أيضا. ويحصل إن شاء أيضا على جميع سياقاتها التي وردت فيها في زماننا أو في عصر من العصور ومراجع هذه السياقات وذلك بواسطة طابعة ملحقة بالدماغ الالكتروني وهكذا يستطيع الواضعون اختيار اللفظ المناسب من بين العشرات من الألفاظ المتجانسة المعنى فهي كلها محصورة وتحت تصرفه. وهذا يوفر له الوقت ويضمن موضوعية الاقرار للفظ وأهم شيء في هذه الموضوعية هي مقياس التواتر والكثرة والشيوع وبذلك يتفادى النادر والشارد وهو الذي سمع من رجل واحد مرة في حياته. (ولا يلجأ إلى هذا النوع من الألفاظ إلا عند الحاجة أي ليطلقه مثلا على المفهوم القليل الدوران أو الغريب)(6). ويجب التنبيه على أن هذه الذخيرة قد تخلو على الرغم مما تزخر به من ملايين السياقات وملايير الألفاظ المكررة في سياقات جدّ مختلفة قلنا قد تخلو من اللفظ المطلوب فعند ذلك — وعند ذلك فقط — يمكن أن يلجأ إلى التوليد بالاشتقاق من مادة معينة (ينتقيها الواضعون من هذه الذخيرة) وعلى صيغة تؤدي المعنى المطلوب. فالاعتماد على الذخيرة هو رجوع إلى التراث وفي نفس الوقت رجوع إلى كل ما أحدث اليوم أو منذ الأمس القريب في مجال دلالي معين مما دخل في الاستعمال (7). ويمكن أن نمثل هذه الفوائد بمثال العلوم اللسانية التي هي من اختصاصنا. فقد عزمت على القيام بجرد لكل الألفاظ العربية التي استعملت قديما في هذه العلوم وخصوصا في الصوتيات وذلك انطلاقا من كتب العلماء العباقرة الأولين أمثال سيبويه والخليل — من خلال ما روي عنه — ومدرسة ابن السراج وابن جني وكذلك الأطباء العرب مثل ابن سينا وغيره والموسيقيين العرب مثل الفارابي ومباركشاه وغيرهما. فبهذه الذخيرة الصغيرة استطعنا أن نصلح الكثير من المسوخ التي دخلت في استعمال بعض الأفراد ودوّنت في مشروع معجم اللسانيات وذلك كاللفظة التي سبق أن ذكرناها Voile du palais فإن ابن سينا يستعمل في كتاب «أسباب حدوث الحروف» وغيره من الكتب عبارة : «صفاق الشجر» والصفاق هو جلد البطن الرقيق فأما الشجر فتحدده المعاجم بأنه

---

(4) بسبب التساهل المنهجي (المهول) وقد بيّن ذلك أكثر من واحد. ثم هذه القواميس لا تذكر أبدا مرجع الكلمة (في أي نص وردت).

(5) وهي جد متوفرة الآن في البلدان العربية. والسؤال يقع بواسطة «الطرف» (Terminal) وهو عبارة عن شاشة وملمس يتصلان بالدماغ الالكتروني من جهة وبالباحث (هاتفيا مثلا) من جهة أخرى.

(6) هذا فضلا عن الفوائد التي يجدها المؤرخ للغة والعالم الاجتماعي وغيرهما.

(7) أما ما لم يدخل فسيجده أيضا لكن ممسوحا بهذه الملاحظة : «وضعه الأستاذ فلان أو المجمع الفلاني ولم يرد في أي نص إلا في قائمة أو معجم كذاه.

«مفرج الفم» وهذا تحديد غامض إلا أن النسبة إليه تطلق على جنس من الحروف مخرجها كلها من وسط الحنك وعلى هذا فإن «صفاق الشجر» تسمية جد لائقة وما يؤيدها هو وجودها بالفعل في الاستعمال (وعند أكبر علماء الصوتيات الفيزيولوجيين قديما). وهناك مفهوم آخر هو Allophone أو Variant فقد استعمل العرب لهذا المعنى «الوجه» من وجوه الأداء «والمخرج» كمصدر (انظر قول الجاحظ : «المخارج لا تحصى، البيان 1 / 34) و«البدل» الجائز أو الواجب في معنى Free Variant أو Combinatory variant (أو Conditioned Variant).

ونذكر فائدة أخرى هامة جدا وهي المعلومات التي سيحصل عليها الباحث بعلاج الرتابة للمعطيات واستخراج الجذور والصيغ وبالتالي إحصاؤها وحرصها مع الكشف عن أكثر هذه العناصر تواترا في الاستعمال وأكثرها تفريغا وأكثرها شيوعا في وقتنا الحاضر وفي غابر الأزمنة. ثم التحديد الدقيق لمعاني كل صيغة باستقرار كل الكلمات المصوغة عليها وهذا سيفيد الواضع لأنه سيجعل من هذه المعلومات الموضوعية — المستخرجة من واقع اللغة والاستعمال لا بالتخمين والانطباعات الذاتية — مقاييس لتوليد الألفاظ وتخصيص كل بناء ووزن بمفهوم علمي أو تقني على غرار ما يفعله الواضعون الغربيون بالسوابق واللواحق اللاتينية واليونانية. ولابد من التنبيه على أن التصفح الكامل — بالآلات العظيمة — هو الوسيلة الوحيدة التي تضمن الموضوعية والدقة العلمية(8).

أما كيفية إنجاز هذه الذخيرة فتكون بإنجاز العمليات التالية(9) :

1 — القيام بمسح تدويني كامل شامل لكل ما يجري استعماله في التخاطب الكتابي والشفاهي في جميع المؤسسات العلمية على مستوى العالم العربي كالجامعات ومراكز البحث والمختبرات والمصانع وورشات الغمل والمناجم وسائر الأماكن التي يختص التخاطب فيها بلغة فنية معينة. وذلك بإجراء التحريات الميدانية الواسعة وبطرق ومنهجية معينة.

2 — القيام باختبار عينة كبيرة من الكتب العلمية والتقنية والأمالي والبحوث والمعاجم وغيرها القديمة والحديثة.

3 — القيام بتدوين كل هذه المعلومات بتخزينها في ذاكرة الرتّاب(10) (ويجب أن يكون من أكبر وأقوى طراز) — (**وهذا شيء قليل في حق لغة القرآن**). ثم القيام بالعلاج الآلي لها باستخراج الجذور والصيغ واستقراء السياقات وتعداد درجة التواتر ويتم كل ذلك بمنهجية قد أعدّت في معهد العلوم اللسانية بالجزائر. (وقد قام هذا المعهد كما قلنا سابقا بتخزين وعلاج أكبر قسط من الشعر الجاهلي وعلاج الرصيد اللغوي المغربي والرصيد اللغوي العربي).

هذا ولا ننسى دور الاستعمال — أي اختيارات الناطقين وإقبالهم على بعض الألفاظ ورفضهم للبعض الآخر. وهنا تظهر أهمية الدراسات التي ترمي إلى استكشاف أسرار هذه الظواهر وتفسيرها حتى يضع الواضعون ألفاظا يكون لها حظ كبير من النجاح. ومن هذه الأعمال نذكر :

4 — القيام باستفتاءات واسعة النطاق للحصول على موقف المستعمل من الألفاظ المقترحة

---

(8) ويستعان بما قد سبقنا به إلى ذلك علماؤنا القدامى للزيادة في الفائدة والمقارنة العلمية ونذكر خاصة كتاب الفارابي اللغوي (لا الفيلسوف) المسمى «ديوان الأدب» فيما يخص الصيغ. و«مقاييس اللغة» لابن فارس فيما يخص الجذور وكتاب «العين» للخليل (وكذلك بعض الأعمال الاحصائية الحديثة القيّمة).

(9) اقترحنا مثل هذه الخطة تقريبا في بحث سابق.

(10) أما التراث العلمي والأدبي القيم الغني بالمفردات والمصطلحات فيجب أن يواصل تدوينه طيلة سنين حتى يؤتى على كامله.

ويتم ذلك بإجراء التحريات في حقول محدودة على شكل استنطاق للأخصائيين وذلك بملء المستنطقات ونفس التحري في نطاق أوسع يجري على أمواج الاذاعة والتلفزة وعن طريق الصحف ليمسّ جمهور الناس. ثم القيام ــ في الوقت نفسه ــ بدراسة علمية لما وضعه الناس والمؤسسات منذ أكثر من خمسين عاما وخصوصا المجامع والجامعات والبحث عما دخل من ذلك في الاستعمال ومحاولات الكشف عن أسباب النجاح والفشل.

أما القائمون بكل ذلك فنظرا لضخامة العمل فإنه ينبغي أن توزع المهامّ على جميع البلدان بإشراف جامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم). ونقترح أن تنشأ لجان محلية تتكون من10 إلى 20 شخصا بين باحث ومساعد فني في داخل مؤسسة جامعية أو بحثية متخصصة يوكل إليها الاشراف على العمل. وتزود حكومة كل بلد هذه المؤسسة وهذه اللجنة بشيء من العدة (كأربعة أو ستة أطراف) لتدوين وتخزين المعطيات والاتصال المباشر في الوقت نفسه بالهيئة الفنية المكلفة بالتنسيق بين اللجان وتوزيع المهامّ وإدماج المعلومات في ذاكرة الرتّاب المركزي. وتكون هذه الأطراف أيضا وسيلة لكل الباحثين القاطنين في هذا البلد للسؤال عن المصطلحات.

والله ولّي التوفيق.

* * *

التوصيات العامة المنبثقة عن مؤتمر التعريب السادس

1 ــ يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقر من توصيات في مؤتمراته الخمسة السابقة وقد ألح فيها بصفة خاصة على مايلي :

1) إن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية، وكل ضعف أو إضعاف يصيب اللغة هو خطر يتهدد الكيان العربي ووجوده.

2) إن تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغتها، ولذلك فإن لحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة ومواكبته لها، ومشاركته فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع مراحل التعليم وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك.

3) إن تأصيل اللغة العلمية لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة تعليمية دون مرحلة، وإنما يجب أن يساير مراحل التعليم كلها، منذ بدايتها وحتى المراحل العليا من البحث العلمي، بحيث يتسير لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد على تطويرها وإغنائها.

4) إن اللغة العربية قد دللت في مختلف تاريخها المديد، وبحكم خصائصها، أنها لغة حضارة ذات أبعاد إنسانية وعالمية، وهي بهذا قادرة كليا على أن تكون لغة العلم الحديث تدريسا وتأليفا وبحثا وتوليدا للمصطلح.

5) إن ما يهدف إليه التعريب هو بالدرجة الأولى توحيد المصطلح العلمي، وتطبيق هذا المصطلح، واستعماله، وتداوله في كل مجالات حياتنا أداء وإبلاغا.

2 ــ يعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الذي حققه التعريب حتى الآن في الوطن العربي. وهم إذ يقدرون ما أسهم به العلماء والاختصاصيون العرب، وما قدموا من جهود كبيرة في تعريب فروع كثيرة من المعرفة والعلم، فإنهم يؤكدون مرة أخرى على أن جهودهم لا تؤتي ثمراتها كاملة إذا لم تتخذ الأمة العربية قرارها، ومن أعلى مستويات المسؤولية، بإلزام تداول واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربي كله. وفي الوقت نفسه بإلزام